

اللقاء الخامس: نعمة السر

كلمة الكنيسة : مرسوم الكنيسة للأرمن

لقد أعلنت الكنيسة الكاثوليكية رسميًا تعليمها بشأن الأسرار، في قرارها الشهير الذي أصدرته في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٤٣٩، لمناسبة رجوع الأرمن الى حضنها، على الوجه التالي:

"أن الخمسة الأسرار الأولى من الأسرار السبعة. وُضعت لمصلحة كل انسن كفرد. أما السران الأخيران، فغايتهما تدير الكنيسة وبقاؤها. وفي الحقيقة اننا بالمعمودية نولد ثانيةً ولادة روحية. وبالتثبيت ننمو في النعمة ونتقوى في الايمان. روحي بسبب خطايانا، فان التوبة تشفي نفوسنا، كما أننا بسر المسحة الأخيرة نُشفى روحيًا وجسديًا أيضًا (اذا كان ذلك مفيدًا لنفوسنا). أما سر الكهنوت فيه تُساس الكنيسة وننمو روحيًا، كما ننمو جسديًا، بسر الزواج".

التعليم

١. غاية كل سر:

أوضحت الكنيسة في تعاليمها غاية في كل سر، أي تلك الغاية نفسها التي أرادها السيد المسيح لما وضع الأسرار. والأسرار تلقي على عاتق الانسان مسؤوليات جديدة. لأنها ترفعه الى مراتب سامية وتزينه بنعم جديدة. فلتر ما هي هذه المراتب والمسؤوليات:

(١) المعمودية تجعلنا مسيحيين: أن ذلك لشرف ومسؤولية في الوقت عينه، لأن المعمدين يجب عليهم أن يعيشوا كمسيحين، أي كما يليق بتلاميذ المسيح وبنوع يناسب النعمة التي منحهم اياها الله.

(٢) التثبيت يجعلنا جنودًا للمسيح: والشخص الذي يقبل هذا السر ينال شرفًا عظيمًا، ويجب عليه أن يجاهد جهادًا روحيًا بقوة وشجاعة.

(٣) القربان الأقدس يغذينا بجسد السيد المسيح ودمه: ووجود المسيح فينا بالتناول يحتسم علينا أن نحترم أجسادنا احترامًا أوفر، وأن نحافظ على طهارة نفوسنا محافظة أعظم.

(٤) أما الاعتراف (التوبة) فيعيد الينا النعمة، التي فقدناها بخطايانا المميتة. واذا لم تكن علينا سوى خطايا عرضية، فيمحوها هذا السر ويزيد النعمة فين: و الانسان الذي يعترف يلزم نفسه أمام يسوع، بأن يجزم جزمًا صادقًا، على عدم السقوط في الخطيئة مرة ثانية.

(٥) مسحة المرضى تقوينا في حالة المرض على احتمال الأوجاع ومقاومة التجارب، وتطهرنا من بقايا الخطايا: الا أنها تفرض علينا أن نكون مستعدين دائمًا للموت، لنؤمن خلاصنا الابدي.

(٦) وكذلك سر الكهنوت الذي يكرّس ويخصص أشخاصًا للخدم الكهنوتية، فانه يحتم عليهم أن يعيشوا بقداسة ويقوموا خير قيام بالرسالة الكبرى التي عهد الله بها اليهم.

٧) وأخيرًا الزواج يعين الزوجين على تحمل مشقات الحياة وصعوباتها، الا أنه يقيدهما بمسؤولية تربية أولادهما، طبقًا لمبادئ الدين المسيحي.

انها لمسؤوليات جديدة تأخذها على أنفسنا بقبولنا الأسرار، فماذا يعطينا الله لنستطيع القيام بها؟ هذا ما نريد أن نبينه الآن.

٢. الحق على نعم خاصة

أن الله يساعدنا اذا يعطينا الحق على نعم خاصة، تعييننا على تحقيق غاية كل سر، وعلى القيام بالواجبات الخاصة التي تُفرض علينا بقبولنا الأسرار. هذا ما يُعرف بنعمة السر، فكما أن الأسرار عمومًا تنيلنا النعمة المبرّرة، كذلك كل سر يمنحنا نعمة خاصة به. فلنبحث عن الأسرار التي قبلتها أنت الى الآن: فالمعمودية قد أعطتك الحق على أن تنال من الله نعمًا خاصة، لتؤمن دائمًا بالمسيح، وتحيا كابن حقيقي لله، وتكون عضوًا كاملاً ومثاليًا في الكنيسة، وتربح السماء.

أما المواعد التي وعدت الله بها يوم اعتمادك، فقد ربطت بها نفسك تجاه الله: وهي تعطيك الحق على أن تحصل من لدته تعالى، على نعم خاصة تعينك على اتمام عزمك ومواعيدك.

لقد قبلت سر الميرون أيضًا. فيجب عليك الآن أن تجارب التجارب، وتلك سلوكًا جريئًا أمام أعداء الدين، وتتم رسالتك فيما بين أقرنتك. وإن الله قد جعل لك الحق على نعم خاصة، ستحصل عليها لتكون جنديًا باسلاً للمسيح.

لقد اعترفت بخطاياك مرارًا: فكل مرة اعترفت اعترافًا جيدًا، أعطاك الله حقًا على الحصول على نعم خاصة، لتدفع عنك الخطيئة والتجارب.

كذلك أنت تناولت القربان الاقدس مرات كثيرة. فكل تناول خولك الحق على قبول نعم خاصة، لتثبت في النعمة في الفضيلة وتصير أكثر صلاحًا.

٢ شروط الحصول على هذا الحق

الأسرار تعطي النعمة المبرّرة. والنعمة المبرّرة مقرنته بنعمة السر الخاصة الا أنها متميزة عنها. فأعلم أن الحق على النعمة الخاصة بكل سر، متوقّف على امتلاكك النعمة المبرّرة. أي أنك لن تستطيع الحصول على النعمة الخاصة، اذا لم تكن حاصلًا من قبل على النعمة المبرّرة. فمن يقبل أحد أسرار الأحياء وهو في حالة الخطيئة المميته، لن ينال النعمة، ومن ثم ليس له الحق على النعم الفعلية. التي لا بد منها لبلوغ الغاية الخاصة بكل سر. ومت عادت الى نفسك حياة النعمة المبرّرة، يعود اليها الحق ثانيةً على النعم الأخرى الخاصة. ويجب أن تعلم، أنك اذا قبلت سرًا من أسرار الاحياء، مع علمك بانك ليست في نعمة الله، فأنت ترتكب خطيئة جسمية، ذات خبائث خاصة، تدعى خطيئة النفاق، وهذه الخطيئة تمنع النعمة المبرّرة والنعم الخاصة من دخول نفسك، ولذا فان خطيئة النفاق فظيعة جدًا.

١. كل سر من الأسرار يلقي على الانسان مسؤولية جديدة، كما أنه يرفعه الى مرتبة سامية ويزينه بنعم جديدة. فالمعمودية تجعلنا مسيحيين، لكنها تفرض علينا أن نعيش كما يليق بالتلاميذ المسيح. التثبيت يجعلنا جنودًا للمسيح، الا أنه يوجب علينا أيضاً أن نجاهد جهادًا روحيًا بقوة وشجاعة. القربان يغذيها بجسد المسيح ودمه، غير أنه يحتم علينا أن نحترم أجسادنا، ونحافظ على طهارة نفوسنا. الاعتراف يعيد لنا النعمة المفقودة، لكنه يلزمنا أن نعتزم بعدم الرجوع الى الخطايا. مسحة المرضى تقويننا في مرضنا الأخير، لكنها تفرض علينا أن تكون مستعدين للموت. الكهنوت يكرس اشخاصًا للخدم الكهنوتية، الا أنه يحتم عليهم أن يعيشوا بقداسة تناسب درجتهم السامية. الزواج يعين الزوجين على تحمل اعباء الحياة، الا أنه يفيدنا بمسؤولية تربية أولادهما.

٢. في الأسرار يعطينا الله الحق على نعم خاصة، تعيننا على بلوغ غاية السر، والقيام بالواجب الخاصة التي تفرضها علينا الأسرار، وهذا يعرف بنعمة السر. فكما ان الأسرار عمومًا تنلنا النعمة المبررة، كذلك كل سر بمفرده يمنحنا نعمة خاصة به.

٣. لكي تحصل على النعم الخاصة بكل سر، يجب أن نكون حاصلين أولاً على النعمة المبررة. من يقبل أسرار الأحياء في حالة الخطيئة الميئة، وهو يعلم أنه ليس في نعمة الله، لا ينال النعمة، وليس له حق على النعمة الفعلية، بل يرتكب خطيئة جسمية، ذات خبائة خاصة، تدعى خطيئة النفاق. حالما ترجع النعمة الى النفس، في الاعتراف الجيد، يعود اليها أيضًا الحق على النعم الخاصة.

الفائدة العملية للحياة

لا بد من أن تمر عليك في أيام شبابك ظروف عصبية، يخيل اليك فيها أن القيام بواجباتك المسيحية صعب جدًا. وعندئذ سيقضي منك ثمنًا غالبًا أن تكون شابًا مسيحيًا حقيقيًا، لتظهر أمام الجمهور ايمانك المسيحي، وتثبت في النعمة التي حصلت عليها في الاعتراف. ولكن يجب أن لا نخاف ولا تجبن عندئذ. لأن النعمة الخاصة التي قبلتها في الأسرار، ستعينك على تحمل المسؤوليات الثقيلة المفروضة عليك، وتسهل عليك، القيام بواجباتك. وكل مرة يطلب الرب هناك تضحية ما، فانه يبعث لك معها بالنعمة الخاصة المناسبة، وعندما يكون يسوع معك فأنت قوي، وقوته لن تفارقك.

ما الغاية من جميع الاسرار؟ هل لكل سر بمفرده غاية خاصة؟ ما غاية المعمودية؟ والتثبيت؟ والقربان الاقدس؟ والاعتراف؟ ومسحة المرضى؟ والكهنوت؟ والزواج؟ ماذا توجب على المسيحي هذه الغابات الخاصة بكل سر؟ هل يتركنا الله تقوم وحدنا بهذه الالتزامات الجديدة؟ أي شئ يمنحنا لنستطيع القيام بها؟ ما هي نعمة السر؟ متى يحدث أن النفس لا تحصل على النعمة المبررة؟ ولو أنها قبلت سرًا من اسرار الاحياء؟ متى تكتسب النفس ثانية الحق على النعم الخاصة؟ ما هي خطيئة من يقبل سر من أسرار الأحياء؟ مع علمه بأنه ليس في نعمة الله؟

للاستظهار: من التعليم المسيحي

١. ما هي مفاعيل الأسرار في النفس؟ مفاعيل الأسرار هي: النعمة في كل الأسرار، والوسم والنعمة في بعض الأسرار.
٢. ما هي النعم التي يعطيها الأسرار؟ النعم التي تعطيها الاسرار هي النعمة المبررة: مع النعمة الخاصة بكل سر.
٣. ما هي نعمة السر؟ نعمة السر هس مساعدة خاصة يعطيها السر، ليتمّ الغاية التي وُضع لأجلها.
٤. هل تعطي الأسرار النعمة كل من يقبلها؟ تعطي الاسرار النعمة كل من يقبلها بالاستعداد الواجب، وعلى هذا قدر الاستعداد تكون النعمة.
٥. ما هي خطيئة من يقبل الاسرار على خلاف الاستحقاق؟ مَنْ يقبل الأسرار على خلاف الاستحقاق لا ينال النعمة، بل يرتكب خطيئة جسمية جدًّا تسمى خطيئة النفاق.
- ٦.

نشاطات

- ١) هل تعرف أن تضع رسمًا يوضح الغاية الخاصة من كل سر من الاسرار السبعة، وتشرحه بكلماتك؟ فلو ترسم شابًا مسيحيًا قد اعتمد وتثبت واعترف وتناول القربان الاقدس، ثم كاهنًا واسرة، فتلك وسيلة توصلك الى التكلم على نعمة السر..
- ٢) ما هي النعمة الخاصة، بحسب رأيك لتي يحتاج اليها شاب مسيحي، يريد أن يحيا طبقًا لالتزامات معموديته، وأن يكون أمينًا في اتمام المواعد التي الزم بها نفسه في المعمودية: وهي أن يكفر الشيطان والعالم وأباطيه؟ اكتب في دفترك.
- ٣) ما هي النعم الخاصة؟ البيت تراها أنت ضرورية لشاب مسيحي قبل سر التثبيت، لكي يستطيع أن يفى بالعهود البيت قطعها على نفسه، عند قبوله هذا السر؟

كل سر يعطي نعمة خاصة

لجميع الأسرار مفعول مشترك، هو اعطاء النعمة. غير أن كل سر بمفرده، فضلا عن تلك النعمة المشتركة، يعطي نعمة خاصة به، تناسب كل سر، ولذلك تدعي "النعمة السرية".

كل نوع من الأطعمة الجسدية يغذي الجسم، ويحفظ فيه الحياة ويزيد قواه الطبيعية _ وهذا مفعول مشترك بين جميع الأطعمة_ الا أن كل طعام ينفرد بمفعول غذائي خاص يختلف عن أي طعام آخر. كذلك يمكننا ان نقول عن الأسرار: فكلها تغذي النفس وتقويها وتقربها لله، لكن كل واحد منها، ضالا عن المفعول العام، أي النعمة عمومًا التي تمنحنا اياها جميع الأسرار على السرا، يحدث في النفس مفعولاً خاصاً، وهو حق مكتسب للحصول في وقت الحاجة، على النعمة الفعلية الضرورية للانسان، ليقوم بواجباته التي يفرضها عليه قبول السر، أحس قيام.

يذكر الانجيل المقدس (لوقا ٨: ٥٤) أن يسوع أقام من الموت ابنة يائير رئيس المجمع، اذ أمسك بيدها وناداهما قائلاً: "يا صبية قومي". فرجعت روحها اليها وقامت في الحال، فأمر بان تعطى طعاماً.

أن قيامة الصبية المائنة ترمز الى قيامة النفس من موت الخطيئة، ورجوعها الى حياة جديدة فائقة الطبيعة بسري المعمودية والتوبة، اما الطعام الذي أمر الرب بان يقدم للصبية، لتقويها وحفظ حياتها، فهو يرمز الى ازدياد النعمة التي تحصل عليها في بقة الأسرار.

استشهاد القديسة جوليت

في الاضطهاد العنيف الذي أثاره الامبراطور الروماني ديوكليسيان، على الدين المسيحي في كل أنحاء مملكته الواسعة، استشهاد خلق كثير من المسيحيين، وكان من جملة هؤلاء امرأة شريفة من بلاد كيليكية، اسمها جوليت. فقبضوا عليها في ١٥ تموز سنة ٣٠٥، واقتادوها الى ديون الحاكم الروماني، وكانت تحمل على ذراعها طفلا لا يزيد عمره على ثلاث سنوات، وكانت ردهة المحكمة مملوءة بآلات التعذيب المختلفة الأنواع، وكان الجلادون ينتظرون اشارة من الحاكم ليبدأوا بتعذيب المسيحيين.

جلس الحاكم على منبره، وكان منظره يلقي الرعب في القلوب. فسأل جوليت: من أنت اجابته جوليت بهدوء ووقار: أنا مسيحية. وكذلك طفلها الذي كانت تحمله على ذراعها، وكان يستطيع النطق بعض كلمات فقط أجاب بدون أن يسأله: أنا مسيحي. سأل الحاكم جوليت أيضاً: من أي بلد أنت؟ اجابت: أنا مسيحية. وأجاب الطفل أيضاً أنا مسيحي.

استناط الحاكم غيظاً، ولكنه تظاهر بالهدوء، وتناول الطفل من أمه، وأخذ يلاطفه يوداعبه. الا أن الطفل جعل يبكي، ثم صاح بصوت عظيم: أنا مسيحي، أنا مسيحي، وأخذ ينتف لحية الحاكم وشعره، ويخدش خديه وعينيه بأظفاره الصغيرة.

كان الحاكم يجن من الغيظ والخجل، ولكي ينتقم لنفسه من الطفل، أمسك برجليه، ثم رفعه في الفضاء وضرب رأسه بدرجات المنبر فتطاير دماغه. عندئذ أخذت الأم تصلي قائلة: أشكرك يا الهي لأنك تنازلت فكللت طفلي باكليل المجد قبلي، ثم أمر الحاكم جنوده بان يلقوا جوليت في مرجل (قدر) مملوء من الزفت المغلي، وبما أنها لم تمت، أمر يقطع رأسها.

فانظر كيف أن نعمة السر، التي حصلت عليها تلك المرأة القديسة في سري المعمودية والتثبيت، وقد قوتها لتجنب الحاكم بشجاعة هذه العذابات.

مقارنة بين الحياة الطبيعية والحياة الفائقة الطبيعة

الحياة الفائقة الطبيعة المسيحي كفرد	الحياة الطبيعية الانسان كفرد
١) يبدأ المسيحي حياته الفائقة الطبيعة بالميلاد الثاني أي بسر المعمودية.	١) يبدأ الانسان حياته الطبيعية في العالم بالميلاد.
٢) تكمل حياة المسيحي الفائقة الطبيعة بالموهب الخاصة التي تفاض في نفسه بسر التثبيت.	٢) تكمل حياة الانسان الطبيعية بالنمو، الى أن يستكمل قواه الجسدية والعقلية.
٣) تحتاج النفس الى تغذية تناسب حاجات الحياة الفائقة الطبيعية أي الى القربان الاقدس.	٣) يحتاج الانسان، في جميع أطوار حياته الى تغذية، لحفظ قواه الجسدية والعقلية وتنميتها.
٤) تحتاج النفس في حالة فقدانها الحياة الفائقة الطبيعة بالخطيئة المميتة، أو في حالة انحطاط قواها الروحية بالخطيئة العرضية، الى سر يعيد اليها حياة النعمة ويعتمد جراحاتها أي التوبة.	٤) يفتقر الانسان، في حالة المرض، الى معالجة خاصة بالأدوية والعمليات الجراحية، والحماية عن بعض الأطعمة ليتخلص من مرضه ويستعيد قواه وصحته المفقودة.
٥) يحتاج المسيحي في ساعات حياته الأخيرة، الى سر يمنحه القوة لمقاومة الأعداء الروحين، والتجربة في ساعة الموت، أي مسحة المرضى.	٥) يحتاج المريض المدنف بسبب انهيار قواه، الى عناية وخدمة وتعزية خاصة.
المسيحي كعضو في الكنيسة	الانسان كعضو في الهيئة الاجتماعية
٦) تحتاج الكنيسة ايضاً الى سلطة، تتولى ادارة شؤون المؤمنين الروحية أي سر الكهنوت.	٦) يحتاج الانسان كعضو في الهيئة الاجتماعية الى سلطة تتولى ادارة شؤون الشعب، منعاً للفوضى وحرصاً على الخير العام.

<p>(٧) أما عقد الزواج، الذي رفعه سيدنا يسوع المسيح الى درجة سر، فيضمن تجدد ابناء الكنيسة المقدسة وازديادهم.</p>	<p>(٧) تحتاج الهيئة الاجتماعية، بسبب الموت، الى تجديد مستمر لأعضائها، ويتم ذلك بالزواج الذي هو عقد طبيعي يتضمن ايجاد أفراد جدد بالتناسل وازدياد عددهم.</p>
---	--